

أحاديث إلى الشباب المسلم

شبهات في الفكر الإسلامي

أنور الجندي



دار الاعتصام

دار الاعتصام

للطببع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شايح حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨



أحاديث إلى الشباب المسلم

شبهات في الفكر الإسلامي

أنور الجندى

دار الاعتصام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عشرات من الشبهات والتحديات تثار اليوم في وجه الاسلام والفكر الاسلامي ، ومن حق الشباب المثقف علينا ان ننضئ امامه الطريق ونكشف التمويه الدخيل الى حقائق التاريخ الاسلامي والفكر الاسلامي . ومن المعروف ان الاستعمارية والصهيونية والاحاد ما تزال تدفع هذه الشبهات وتكسبها لونا له بريق وتضعها في اساليب مضللة باسم العلم .

ولكنها ليست من العلم او الحقيقة في شيء . ونحن نعرف ان الذين يعاودونها هم دعاة التغريب والغزو الثقافي والنفوذ الاجنبي ، وهم ما كرون حين يثيرونها نقطه بعد نقطة ، وقضية بعد قضية ثم يعاودون آثارة الواحدة بعد الأخرى بأسلوب مختلف ، ومن زاوية جديدة ، فعلينا ان نكون على وعى بكل هذه التيارات ، وعلى قدر كفاف من اليقظة لنربط بين هذه الجزئيات ولنعرف الاهداف الاستعمارية التي تهدف اليها وما يثار على سبيل التمثيل لا الحصر الشبهات التالية :

اولا — ان تأخر المسلمين اليوم مصدره الاسلام .

ثانيا — ان المدنية الغربية تؤخذ كلها (حضارتها وثقافتها) وحلوها وممرها وخيرها وشرها ، وما يحرم منها وما يعاب .

ثالثا - الاسلام لا يستطيع ان يعطى العالم سوى المعاني الروحية .

رابعا - ايجاد الخلاف العميق بين العروبة والاسلام

خامسا - القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من غفلتهم حتى أوقظهم الغرب .

سادسا - انكار دور الحضارة الاسلامية خلال ألف سنة في الحضارة الانسانية .

سابعا - القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية .

ثامنا - عظماء الفكر الاسلامي لم يكونوا عربا وانما كانوا فرسا وتركيا الخ .

تاسعا - لابد لكي ينهض العالم الاسلامي من ان يفصل عن ماضيه .

عاشرا - اللغة العربية لغة متية كاللغة اللاتينية واللهجات هي اللغات الحديثة .

حادي عشر - التاريخ الاسلامي ملئ بالافغرات ويجب ان يقضى عليه كلية ..

هذه بعض القضايا التي تثار والتي تحتاج الى دراسة موسوعية : يمكن ان يطلق عليها اسم « تصحيح المفاهيم »

الواقع ان المسلمين في هذه الفترة التي احتل فيها الغرب « عالم الاسلام » لم يكونوا ممثلين حقيقيين لاسلام وقد صور هذا المعنى الشيخ محمد عبده حين قال :

« ان الاسلام محجوب بالمسلمين » ولاشك ان فترة ضعف العالم الاسلامي لا يمكن ان تكون صالحة لمناقشة جوهر هذا الفكر في مجال التطبيق ، بعد ان اصيب بالجمود وانضعف وغلبت عليه نزعات التقليد ، فقد كان الفكر الاسلامي ، العربي اللغة في جوهره وتجربته الاولى مضيئا ايجابيا مؤثرا متفاعلا ولو ان العالم الاسلامي ظل مرتبطا بجذور هذا الفكر ومقوماته الاساسية لم ينحرف عنها ، لو انه فعل ذلك لما وقع في « الازمة » التي حالت دون نموه وامتداده ، ولو ظل في حركته الاصلية ولم تقف في وجهه الحوائل الضخمة لوصل الى مكانه الانساني العالي ولظل مؤثرا في مجرى الفكر البشري .

اما اقول بان مصدر تاخر العالم الاسلامي هو الاسلام فهو قول مردود بتجربة التاريخ ، فقد اقام الفكر الاسلامي العربي اللغة حضارة ضخمة في ظل العقيدة الاسلامية القائمة على التوحيد وامتزاج المادة بالروح ولم يتعارض العلم مع الدين .

ولعل القائلين بهذا الرأي انما ينظرون فيما يفوله الغربيون عن المسيحية الغربية التي اقاموها مزججا من المسيحية السمحة الوافدة من الشرق ومن الوثنية اليونانية ، وعندنا ان كل ما يقال عن « الدين » في رأي كتاب الغرب لا ينطبق على الاسلام فان مصدر نظرتهم هي ما عرف من معارضة الكنيسة للعلم في فتوحه ابان النهضة ، هذه لنظرة

لا تنطبق على الاسلام ، ثم ان الاسلام بعد ذلك ليس ديناً
لاهوتياً عبادياً فحسب ، ولكنه دين فكر وحضارة وتاريخه
كله خلال اربعة عشر قرناً يشهد بأنه لم يتوقف مطلقاً عن
الحركة ، وانه ظل قادراً على التجاوب مع النهضة
والحضارات في آفاق العلم والبحث والابتكار .

٢ - المدنية الغربية

القول بأن المدنية الغربية يجب ان تؤخذ كلها (حلوها
ومرها وخيرها وشرها) قول باطل ومردود ، وعلينا ان نفرق
بين امرين تمام التفرقة ، ان نفرق بين الحضارة والثقافة ،
فالحضارة مادة والثقافة فكر ، والحضارة ملك للانسانية كلها
تأخذ منها ما تشاء ، ولكن الثقافة خاصة بكل أمة تستمد
جذورها من وجدان الشعوب وضمائرها وامزجتها فكل ثقافة
تمثل طابع امتها ، وهى هنا تختلف ايضا « عن المعرفة » التى
هى ملك عام ، أما الثقافة فهى اقرب ما تكون الى الارتباط
بالمقائد والقيم الأساسية للأمم .

ومن هنا فنحن نأخذ حضارة الغرب لان لنا سابقة
في بنائها ولكننا لا نعتنق ثقافة الغرب ، وانما ننظر فيها ونفتح
لها الابواب ، ونحن واقفون على قواعد ثابتة من قيمنا الاصلية
وقد اخذت اليابان حضارة الغرب دون فكره ، وكذلك اخذت
اوربا فكر الاسلام دون ثقافته ، وليس من المعقول ان يفعل
العرب والمسلمون غير ذلك ولا يمكن ان يتخلص العزب
والمسلمون من القيم الاساسية لفكرهم وهى التى تقوم على
اساس التوحيد والترابط بين العقل والقلب .

ولا شك ان الفكر الاسلامى العربى فى مقوماته واسسه له طابعه المميز ، والمختلف كثيرا مع مقومات الفكر الغربى ، وابرز هذه المخالفات فى ميدان العقائد ، وفى موقف الانسان بالنسبة للكون والحياة وفى نظريته القائمة على الاخلاق والتقوى وفى التربية والمجتمع والنفوس .

وعبرتنا هنا من الغرب ايضا ، فان الافرنج عندما تعلموا علوم المسلمين والعرب وفكرهم لم يسلموا ولم يتعربوا ، لقد ترجموها ثم حولوها الى قاعدة فكرهم الاساسية المستمدة من الوثنية اليونانية والمسيحية ممتزجين ، ونحن نؤمن ان فكرنا العربى الاسلامى له قيمه ومقوماته الحية الايجابية القادرة على الاخذ والعطاء .

الواقع ان هذه الشبهة خاطئة الى ابعد حد ، فالفكر الانسانى المعاصر يسير فى ثلاث حلقات : الفكر المادى الصرف وهو فكر الغرب وهو يقوم على اساس الدارونية والعلم التجريبي والتفسير المادى للتاريخ ونظرية فرويد فى مادية الاخلاق واعلاء الجانب العزيزى فى الانسان ونظرية الفرائع التى تعلق من شأن المصلحة فى مقابل كل عمل ، والفكر الروحى الصرف الذى تعيشه آسيا والشرق الاقصى ، حيث البوذية والكنفوشيوسية ونظريات البراهمة وغيرها ، اما فى الاسلام فان الفكر يقوم على ازدواج الروح والمادة ازدواجا متفاعلا مسبوكا ، فيه الدنيا والآخرة والعقل والقلب ، ويقوم اساسا على الايجابية والتفتح والتقدمية شريطة ان تكون اخلاقية انسانية ، فالفكر الاسلامى ليس فكرا روحيا وليس فكرا ماديا ، ولكنه فكر متكامل انسانى عالمى ، وهو فكر له اسسه التى تختلف عن جميع الافكار ، مفتوح قادر على

الخلق والتعبير ، له قاعدة أصيلة قائمة على الاحتفاظ بذاتيه
وقيمه ومقوماته ، يأخذ ويعطي دون أن يفقد ملامحه الأصيلة ،
ومكرنا يتعرض اليوم لمواجهة الفكر البشرى تحت ضغط اجتنب
في محاولة لتغريبه وإخراجه عن قيمه ، وهو قادر على أن يرد
عن نفسه الرأي الوافد وأن يتسلم أسسه وأصوله وينظر
في ضوءها ويبنى عليها وهو قادر على أن يقدم للإنسانية
كل خاصيتها في مجال الروح والمادة ، والعقيدة والنظم ،
والعلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان والعلاقة بين
الإنسان والمجتمع على حد سواء .

٤ - العروبة والاسلام

نعم العروبة غير الاسلام ، العروبة دعوة في نطاق
القوميات والاسلام دين وفكر وحضارة ، وليس في الاسلام من
بأس في دعوات القوميات التي ظهرت في القرن التاسع عشر
في العالم الاسلامي كوسيلة من وسائل المقاومة للمستعمر ،
ولكن كل قومية تقوم الآن في العالم الاسلامي ، لا تستطيع ان
تتفصل عن الإسلام الذي هو جوهر فكرها .

والواقع انه لا خطأ في الالتقاء بين العروبة والاسلام
فإنهما قد انتقيا منذ خمسة عشر قرناً ، وان نظرية عروبة
بغير دين كانت نظرية مستوردة من الغرب ، وهي تتصل
بمفهوم الهرب والمسيحية ولكنها لا تتصل بالاسلام الذي هو
ليس ديناً محسوب ، ولكنه دين وحضارة . ولا شك ان قيمنا
الأساسية المستمدة من الاسلام هي عامل فعال في بناء الأمة
وان الثقافة الاسلامية العربية هي فرش الوحدة العربية ، اذ
هي في الحقيقة تمثل وحدة الفكر والشعور ، والثقافة
الاسلامية العربية اللغة ، هي انتاج مشترك ساهمت فيه كل

العناصر التي عاشت في هذه المنطقة وفي مقدمتها تراث الأديان السابقة للإسلام ، وتراث الحضارات الفارسية والهندية واليونانية ، كل هذه الثقافات تبلورت في بوتقة الإسلام التي تتمثل في « التوحيد » والمعروف ان الغرب فصل القومية عن الدين ، لان الدين دخل على اوربا من الخارج فهو اجنبى عن طبيعتها وتاريخها في حين ان الاسلام بالنسبة للعرب هو ثقافة وفكر وحضارة وتاريخ .

٥ - المسلمون واليقظة

القول بأن المسلمين لم يستيقظوا من نومهم حتى اوقظهم الغرب هو قول باطل ، فان العالم الاسلامى قد استيقظ قبل ذلك بأمد طويل ، هذه اليقظة التي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر سنة ١٧٥٠ بحركة محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية ، وما كان لها من اصداء في العالم كله ، وهى تسبق وصول الجمعيات التبشيرية الاوروبية بمائة عام ، على الاقل ، وتسبق نابليون بأكثر من خمسين عاما ، ويذكر الجبرتي ان واعظا جلس في جامع المؤيد بالقاهرة ١١٣٢ هجرية وكثر عليه الناس ودعا الى تحرير الاسلام ، من البدع والعودة به الى منابعه الاولى ، ولا شك ان في تاريخ العالم الاسلامى كثير امثاله في مختلف الاقطار ، ولا ننسى دعوة العلماء في مصر قبل وصول الحملة الفرنسية بسنوات للامراء بالعدل واخذ العهد عليهم ان لا يظلموا الرعية ، ولا يضعوا قانونا بضرائب جديدة ، وهو ما اطلق عليه وثيقة حقوق الانسان الاسلامية العربية ، ومن هنا يتأكد ان يقظة العالم الاسلامى قد انبعثت من اعماقه وصدرت عن فهم صادق لضرورة استعادة دوره في الصدارة ومقاومة الاستبداد والنفوذ الاجنبى معا .

٦ - دور الحضارة الإسلامية

انكر كتاب الغرب دور الحضارة الإسلامية في الحضارة الإنسانية ، وتابعهم في ذلك كتاب من الشرق والعالم الإسلامي وقد ظل هذا التحامل فترة طويلة ثم تحول من بعد ، فكتب عشرات من اقلام الغرب عن اصالة هذا الدور ، ننقل منهم رأى « سيديو » الباحث المعروف الذى يقول :

« ان نفوذ الفكر الإسلامى ، كان باديا في مختلف ادوار تاريخنا ، لا فرق في ذلك بين زمن الغزوات الاولى وزمن الحروب الصليبية ، نحن مدينون للمسلمين والعرب في الخقل العلمى ، ويظهر انه قصد نسيان فضل المسلمين وانكار مالهم من تأثير في الحضارة الحديثة ، فلقد حل الوقت الذى توجه فيه الانظار الى تصحيح ذلك ، ان العرب والمسلمين كانوا اساتذة اوربا كلها في جميع فروع المعرفة .

وقال مسيو اوليرى : لو ازيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية في اوربا بضعة قرون ، وانه حتى اواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعة مونبولىه بفرنسا .

وقال ماركس ماير هوف : ان المسلمين والعرب اسدوا جليل الخدمات الى بحوث الضوء ونظرياته ، هذا العلم الذى يتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الإسلامى ، ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن .

وقال برنارد لويس : ان اوربا تحمل ديننا مزدوجا للمسلمين والعرب ، فقد حافظوا على التراث الفكرى العلمى الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ومن المسلمين والعرب

تعلمت اوريا طريقة جديدة في البحث هي طريقة تضع العقل
اولا وتنادى بوجوب البحث المستقل والتجربة .

٧ - الفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية

خطأ القول بأن الفلسفة الاسلامية فلسفة يونانية مكتوبة
باللغة العربية وهذا الادعاء باطل ، فان الفلسفة الاسلامية
قامت اساسا على التوحيد ، وهو ما ليس مذكورا ولا معتقدا
ولا معروفا على الاطلاق في فلسفة اليونان ، والواقع اننى
اقول مع الدكتور على سامى النشار اننا لم نكن عالة على
اليونان وان فكرنا الفلسفى لم يكن موصول الوشائج بفكرهم ،
بل على العكس تماما كان له الكيان المستقل ، والينبوع الذى
تفجر منه النور واننا لم نكن ابدا صورة من صور اليونان ،
بل كان لنا على المشرق الذى سطع في اوريا غير اسبانيا
وصقلية ، النور المستمد من الاصل الالهى العظيم : القرآن
ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وعندى ان الفلسفة اليونانية قد دخلت على الفكر الاسلامى
العربى بعد قرنين كاملين من ظهور الاسلام ، وبعد ان اكتملت
مقومات هذا الفكر ، ووضحت معالمه ، ولما كان اساس الثقافة
الاسلامية العربية هو القرآن ، فانه قد رفض من الفكر
الهلىنى التماثيل والصور ورفض تعدد الالهية . ورفض رأى
ارسطو في الله ، واصطنع فلسفة خاصة تتلاءم مع مفهوم
التوحيد ، وقد بدت الفلسفة الاسلامية في ثوب الصراحة
والعلانية ، وهو ما يخالف غموض الفلسفة اليونانية . هذا
فضلا عن ان الفكر الاسلامى لم يقبل علوم اليونان وحدها
بل اخذ علوم الهند والفرس ومزج بينهما ، وازاد اليها ،

وحذف منها ، ومعنى هذا ان كله ما قبله الفكر الاسلامى من الفكر الانسانى يونانى او غير يونانى ، انما قبله على اساس مقوماته الاصلية وفي ظل مفاهيمه التى رسمها القرآن ..

٨ - عظماء الفكر الاسلامى

١ - تقول هذه الشبهة : ان عظماء الفكر الاسلامى لم يكونوا عربا وانما كانوا فرسا وتركيا .

وهذه شبهة شعوبية تعتمد على نظرية الآرية والسامية التى اثارها التغريب محاولا بها رفع قدر الآريين وفكرهم والقاء الظنون والشبهات على العرب .

والواقع ان نظرية السامية والآرية هى فى الاصل نظرية لغوية تولدت من وجود بعض التشابهات بين اللغات الهندية واللغات الاوروبية . وقد حملتها حركة الغزو الثقافى والتغريب فالتقت بها فى معركة الفواصل بين اللونين الابيض السيد واللونين (العبيد !) ومن هنا بدأت اثاره الشبهات حول اجناس العلماء ، وهل هم فرس او عرب .

والذى عليه اجماع العلماء والمنصفين ان الوريثات والدم والجنس (العرق) لا تكون الفكر ولا تبني مقوماته وانما البيئة الفكرية هى التى تفعل ذلك ، البيئة بمقوماتها من اللغة والفكر والاحاسيس والمثل .

وقد جمعت « البيئة الفكرية الاسلامية » بين الفارسى

والتركي والبربري جميعا وشكل الاسلام فكرهم ومزاجهم
التفسي ، ومن هنا قامت وحدة الفكر الاساسية التي خلقت
هذه العبقريات واعطتها حيويتها ، ومن المعروف انه لو لم
تتأثر هذه البيئات اساسا بالاسلام ولم تتفاعل في بيئة الفكر
الاسلامي ، ما كان هذا الانتاج من التفكير الذي برزت به .

فضلا عن ان كل الفنون والعلوم التي تناولها هؤلاء
الاعلام انما كتبوا عنها وعبروا باللغة العربية ، وتحركوا في
دائرة فكرها القرآن ، ومن هنا فان كل المفكرين المسلمين
الذين كتبوا بالعربية هم مفكرون مسلمون وانما العربية اللسان
وليس الجنس أو الدم أو العرق ، وليس في مفهوم الفكر
الاسلامي : عربي وفارسي وتركي فالحل تجمعه وحدة الفكر
المستمدة من القرآن الكريم واللغة العربية ، وان كل ما يقال
في هذا انما يراد به اثارة التشبهات والخلافات وفصم عرى
الوحدة والاخوة .

٩ - شبهة الانفصال عن الماضي

وهذه قضية غريبة كل الغرابه ، فان الغربيين الذين
يدعوننا الى ذلك لم ينفصلوا هم عن ماضيهم ، اذ الواقع
المؤكد المعترف به والذي لا يختلف فيه احد ان الفكر الغربي
المعاصر ، انما قام اساسا على التراث اليوناني والروماني
واستمد منه ابرز قيمه ودعائمه ، هذا فضلا عن ان الاغريق
انتهوا وانفصلوا عن الغرب الف عام ، بينما لم ينته المسلمون
والعرب ، ولذلك يمكن ان يقال عن فكر الاغريق انه تراث ،
ولا يقال ذلك عن فكر المسلمين والعرب الذي مازال حيا

متفاعلا . بالرغم من سقوط الدولة التي كانت تجمعهم ، وقد اشار المستشرق هاملتون جب الى هذا المعنى حين قال : انه ليس في وسع العرب ان يتجردوا من ماضيهم الحافل وسيظل الاسلام أهم صفحة في هذا السجل الحافل .

ولذلك فان دعوى الانقطاع عن الجذور دعوة تفريية وهي اذا لم تدع صراحة الى هذا الانفصال ، فانها تصور هذا الماضي بصورة تبعث على السخرية به ، وهذا رجل من الغرب هو (اومرتو بيستز بيانو) الاستاذ بجامعة بالبرمو في صقلية يقول :

ان النظر الى الامام لا يمكن ان يتم دون التزود من الماضي ، والبحث عن العناصر التي تكون منها جوهر هذا الماضي ، حتى يمكن بناء الحاضر والمستقبل من الماضي نفسه .

ولا يمكن للمسلمين والعرب ان يكونوا كأمريكا التي تبدأ تاريخها في القرن السادس عشر بينما للعرب تراث أربعة عشر قرنا .

١٠ - اللغة العربية ، واللغة اللاتينية .

وهناك شبهة اخرى تحتاج ان يكشف النقاب عن وجه الحقيقة فيها ، تقول هذه الشبهة : ان اللغة العربية لغة ميتة كاللغة اللاتينية ، واللهجات هي اللغات الحية .

ووجه المقارنة هنا غير صحيح ، وغير صادق ، فقد انتهت اللغة اللاتينية وتحولت لهجاتها الى لغات ، وليس كذلك ما حدث بالنسبة للغة العربية التي ما زال القرآن

يظهرها ويجعل ما كتبت به منذ خمسة عشر قرنا مقروءا اليوم بينما لم يحدث ذلك مطلقا لاي لغة من اللغات الحية في العالم الآن . ولن تموت اللغة العربية لأن علامة الربط بين عصورها هو القرآن أساسا ، وهذا ما لم تجده اللغة اللاتينية ليحيها من الموت .

واللغة اللاتينية حين ماتت مع الدولة الرومانية لم تكن لغة الغرب كله ، بل انها لم تستطع التغلب على اللغة اليونانية ، لان اللغة اليونانية هي الاخرى ارتبطت بحضارة اليونان ، فلما انشطرت الامبراطورية الى شطرين كانت اليونانية في الشرق ، واللاتينية في الغرب .

هذا فضلا عن ان اللغة اللاتينية كانت لغة ارسطراطية لا يتحدث بها الا « النخبة الممتازة » ولم تتغلغل في طبقات العوام ، ولم تكن بالقطع لغة الشعب الاصلية ، وانما كانت للشعب لغات اخرى ، كالصقلية ، والجرمانية والسكسونية .

ومن هنا يبدو الفارق البعيد بينها وبين اللغة العربية التي ارتبطت بالاسلام والقرآن ، وعاشت معه ونمت في ظله ولم تكن لغة ارسطراطية خاصة بل كانت لغة الشعب والثقافة معا ، وقد اتاح لها الاسلام ان تتغلب على مختلف اللغات في العالم الاسلامي ، وان تأخذ المكان الاول فيه .

وكانت قدرتها على التطور عاملا فعالا في بقائها واستمرارها ، وتطورها ، وقد وصفها (ارنست رينان) بانها خلافا لكل اللغات ، ظهرت فجأة في غاية الكمال ، غنية اي غنى ، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا اي تعديل

مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت منذ اول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلاتهم اليها .

ومن هذه العوامل جميعا يبدو الفارق البعيد في المقارنة بين لغة انتهت وماتت ، وبين لغة ارتبطت بالفكر الاسلامي وعاشت معه على امتداد تاريخه وما تزال .

١١ - التاريخ الاسلامي ملء بالثغرات

تقول هذه الشبهة ان التاريخ الاسلامي ملء بالثغرات وهو كلام تخريبي شعوبي ، فلا يوجد تاريخ لامة اشد ترابطا من تاريخ المسلمين والعرب ، حيثات متتابعة يسلم بعضها البعض الآخر ، ولن تكون هذه الحجة الواهية دافعة للعرب والمسلمين الى الانصراف عنه . وما اظن ان امة من الامم تملك تاريخا مليئا بالبطولة والسماحة ونبالة القصد كما يملك العرب والمسلمون .

ونحن ننظر الى تاريخنا نظرة منصفة ، فلا نقدره ولا ندوسه ، ولكننا نحاول ان نستمد منه قوة ايجابية تدفعنا الى التماس الافاق الجديدة للتقدم ، دون ان يكون معوقا لنا .

نأخذ منه العبرة لبناء القوة الروحية ، والثقة لتحرير الارض ، والعبرة للتماس الطريق الافضل ، فهو عامل بناء في مجال التربية والاجتماع ، يشد العزائم ويكشف امام شبابنا ان اجدادهم كانوا من بناء الانسانية والحضارة ، وان بطولاتهم ما تزال نماذج للارحية والسماح والعدالة والوفاء .

وهو بهذا المعنى عامل من اكبر العوامل فى بناء حاضر
الامة العربية ومستقبلها النفسى والاجتماعى .

نحن لا نقدر التاريخ ، ولا نتجاهله ، ولكننا نحرره
من محاولات الترييف ونأخذ منه العبرة ونحاكمه بروح
النزاهة والانصاف .

١٢ - لماذا لا يوجد مسرح اسلامى

يتردد القول كثيرا حول المسرح والقصة فى الادب العربى
والفكر الاسلامى ، ويحاول بعض الباحثين ان يغض من شأن
العرب والمسلمين لانه لم تظهر لهم اساطير او ملاحم او مسرح
كما ظهر عند اليونان والفريين ، ويحاول آخرون ان يدافعوا
عن الادب العربى فينسبون اليه وجود القصة ممثلة فى الف
ليلة والمقامات وغيرها .

وعندنا ان كلا الرايين على خطأ بالغ ، وانهما يجهلان
طبيعة الامم والشعوب التى تصدر عنها الفنون والآداب .

ذلك ان النفس العربية بطبيعة تركيبها ومن خلال
مزاجها النفسى الذى اتصل بمفهوم الاسلام القائم على التوحيد
قد تشكلت مطبوعة على الصراحة والوضوح ، فرض عليها
ذلك ايمانها بالله ، وفرض ذلك جوها الصحراوى الواضح
الذى يمتلىء بالضوء منذ الصباح الباكر فاذا اشرقت الشمس
عم الكون كله ضياء ونور .

فالنفس العربية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل

الصراحة لا تحتاج الى الرموز ولا الى الايماءات ولا تجد
هناك ما يحوز دون أن تقول الكلمة ، وقد أعطاها فكرها
الاسلامى هذه القوة وهذا الوضوح ، فضلا عن بساطة
العقيدة الاسلامية التى لا تحتاج الى مسرحية طويلة
لتشرحها او تجلى في نفوس الناس وعقولهم فلسفتها .

وبالاضافة الى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة
العربية فأقامها على الوضوح والايجاز حتى عد ابلغ الكلام
هو السهل الممتنع وقال الرسول صلى الله عليه وسلم
عن نفسه ان الحكمة قد اختصرت له اختصارا وقالت السيدة
عائشة : رضى الله عنها ان انسى لم يكن يسرد كسر دكم ولكنها
كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر في انتقاء وجود الملاحم
والاساطير والمسرح فى الادب العربى والفكر الاسلامى فقد
كانت هذه الملاحم والاساطير والمسرح نتائج لطبيعة الامم
التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للانفصاح
عن فكرها حيث غاشت فى بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام
والغيوم والسحب ، وعرفت الجبال العالية والبحار العميقة ،
وما يتصل بذلك من مخاوف كانت تملا سكان هذه
البلاد ، ومن هنا نشأت الاساطير ، والقصص الخرافية ،
وكانت العقائد المعقدة تحتاج الى تفسير وايضاح ، ومن هنا
كان الرمز فى التعبير والمسرح للتوضيح فكيف يوجد مثل ذلك
فى بيئة تختلف كل الاختلاف ، ولا تحتاج الى مثل هذه الوسائل
لايضاح فكرها أو تبليغ كلمتها .

لقد رأى العرب الشعر اليوناني والقصة اليونانية أبان حركة الترجمة فاعرضوا عنها لأنها مليئة بالوثنيات والاساطير ، ولم يكونوا حريصين على نقل آداب الأمم المتصلة بمشاعرها وعواطفها ، ولكنهم كانوا يهدفون الى نقل العلوم والفلسفات الطبيعية والرياضية كما كانوا عازفين تماما عن نقل فلسفات الوثنية وآداب الاساطير ..

١٣ - لماذا قتل الحلاج واضطهد ابن رشد :

حاول بعض الكتاب ان ينهم الفكر الاسلامى بما اتهم به الفكر الغربى من اضطهاد المفكرين والتضييق على حرية الفكر ، وذلك بضرب الامثلة بالحلاج وابن رشد فى ، غابل جاليلو وغيره فى الغرب .

والحقيقة ان المقارنة باطله ، فقد افسح الاسلام لحرية الفكر مجالا واسعا ، حتى انه سمح لسماع آراء المعارضين للاسلام من يهود ومسيحيين ومجوس فى مجالس الخلفاء فى مجال الجدل والمناقشة والوصول الى الحقيقة .

ولقد اتاح الاسلام للفكر حريته ، ولم يقف امام اى عبر من رايه داخل حدود الاسلام او خارجه ايمانا بمبداه الصريح (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

واذا كان الامر كذلك فلماذا قتل الحلاج والسهروردي واضطهد ابن رشد ؟

ذلك أمر آخر يختلف كل الاختلاف !

أما العلاج فإن آراءه لم تقتله ، ولكنه الذي قتله هو خيانتة واتصاله بالخارجين على الدولة الإسلامية والعاملين على إسقاطها .

وقد ثبتت عليه مكاتيب صريحة تحمل هذه الدعوة وتؤكددها . أما فكرة المنحرف فلم يكن سبب قتله ، وقد قال تلميذه ابن عربى أكثر مما قال هو ، ولكنه وقف فى حدود الفكر دون أن يتعداه .

وكذلك ثبت مثل هذا الاتهام على السهروردى .

ويحارون كثير من دعاة التغريب أن يفاخروا بالعلاج المقتول والسهروردى المقتول ، وذلك لاثارة الشبهة حول الإسلام وموقفه من حرية الفكر .

ومن الحق أن ما قال به العلاج والسهروردى لم يكن أساسا من الفكر الإسلامى ، ولا منطلقة « التوحيدى » الواضح ، ولكنه كان مستهدا من ثقافات قديمة هندية ومجوسية تقول بوحدة الوجود والحلول وغيرها من المذاهب المنحرفة التى لا يقرها الإسلام .

ولكن مثل هؤلاء لم يكن المسلمون يقاومونهم بالقتل بل بالنقد والكشف عن أهدافهم وأهوائهم . وتعرف مداخلهم وأغراضهم ولم يكن العلاج والسهروردى وحدهما فى هذا الميدان ولكن كان هناك كثيرون تركوا لشأنهم حتى ماتت دعواتهم أما القتل فلم يصب إلا الذين اتصلوا بالسياسة وارتبطوا مع الباطنية الذين كانوا يستهدفون إزالة الدولة الإسلامية .

أما ابن رشد فإن أمره يختلف أيضا ، لقد كان ابن رشد صديقا للخليفة وكانت لهما جلسات ومطارحات وكان اعجاب الخليفة به بالغاً ، وقد وصلت هذه العلاقة الى الحد الذي كان يسمح لابن رشد أن يقول للخليفة (يا أخى) فلما احس خصوم ابن رشد بما بلغته هذه المكانة البوا عليه واثاروا حوله الشبهات وكان مما اخرجوا به قلب الخليفة ان ابن رشد لا يخاطبه بالعبارات التى تقال للخلفاء وقد اضافت الاحداث الى ذلك أمورا منها ما نقل الى الخليفة من انه وصف الخليفة بأنه (أمير البربر) وبذلك جرده من مكانه كأمر للمؤمنين ، كل هذا هو الذى حمل الخليفة الى ان يخاصم ابن رشد هذه الخصومة العنيفة ، فينفيه الى مكان ناء ، ويحرق كتبه ويأمر بعدم تداولها . . . غير ان أمر ذلك لم يستمر طويلا فقد استطاع ابن رشد ان يصحح هذه المواقف فى نفس الخليفة وان يحرر له التحريف الذى جاء فى عبارة (أمير البربر) وكان ابن رشد يقصد (أمير البرين) وانتهى الموقف عند هذا الحد .

ويعنى هذا كله ان ما يردده دعاة التعريب والغزو الثقافى محرف عن اصوله التاريخية فى محاولة لاتهام الفكر الاسلامى .

ويردد المستشرقون والمبشرون ودعاة التعريب دعوى مضللة هى ان الاسلام دين ، يمثل العلاقة بين الله والعباد ، وذلك وفق المفهوم اللاهوتى المعروف فى الغرب ، وهم فى هذا ينتقصون الاسلام فى اكبر مقوماته ، فالاسلام دين ونظام مجتمع ومنهج حياة ، فاذا فصلت منه هذه الجوانب وقصر على العلاقة بين الله والناس كان ذلك تحريفا خطيرا لمضامينه واسسه .

ولقد غامت على هذه المفاهيم المنحرفة نتائج مُضَلَّلة كثيرة حاولت ان تنفذ الى قلب الفكر الاسلامي والثقافة العربية لتغير معالمة .

ولكن لماذا يهدف التعريب والغزو الثقافي الى هذا العمل ؟

الواقع ان الغرب يخشى الاسلام في مفهومه الصحيح لانه يحول دون نفوذه ووجوده وسيطرته ويدفع المسلمين الى مقاومته وتحرير ارضهم منه ، ولقد عرف الغرب الاستعماري هذا فركز على اشارة الشبهات حول هذه القيم التي جزرته قبلا من كل غزو ومن كل ازمة ومحنة ولذلك فقد حرص على ان يقيم نفوذه على قواعد من التدخل الثقافي والفكري قوامها :

١ - مدارس الارساليات للتبشيرية وجامعاتها المنبئة في العالم الاسلامي .

٢ - تعزيز حركة التبشير بنوعيتها التبشير العلني والتبشير الخفي ودعمها بالاستشراف .

٣ - اقامة دعوات هدامة مختلفة تحمل في تضاعفها الدعوة الى الاقليمية والتعصب والخصومة واعلاء القبليات والطائفية .

٤ - تدعيم حركات الالحاد والاباحة المستترة وراء الصهيونية والماسونية والبهائية والروحية الحديثة والنيو صوفية .

٥ - اذاعة فلسفات الفرويدية والوجودية
والبراجماتزمية وآراء وليم جيمس ودوركايم وكلها تهدف
الى تدمير قيم المجتمعات والدعوة الى الحرية المطلقة الخارجة
عن القيم والضوابط .

فاذا وصل التفريب الى اقناع المسلمين بأن الاسلام
دين لاهوتى فحسب ، اتضح الطريق امام الغزو الاباحى
والالحادى الذى سيؤدى الى تدمير القيمة الاخلاقية
والروحية والنفسية فى الانسان المسلم والانسان العربى
بحيث يصبح نموذجا زائفا للفكر الغربى ، بمعنى ان تنطوى
طبيعته الاصلية ومزاجه النفسى والروحى وذاتيته وتنصهر فى
أتون الدعوة العالمية والاممية الهادفة أساسا الى استعباد
الامم والشعوب والقضاء على اديانها ومقوماتها وجعلها
خدما لاهداف الاستعمار العالى الذى تقوده الصهيونية
العالمية .

١٥ - تكامل قطاعات الفكر

تحاول الشبهة ان تقر تجزئة قطاعات الفكر الاسلامى
وانفصالها بينما لا يقر الاسلام هذه التجزئة ويقرر تكامل
عناصر الفكر فى وحدة واحدة .

فالفكر الغربى يجرى على الفصل بين المجتمع والدين
وبين السياسة والأخلاق ، وبين الادب والعقائد وبين العلم
والدين .

وذلك جريا على منهجه الذى يفصل بين الروح
والمادة ، والعقل والقلب ، وبين الدنيا والاخرة وفى ضوء

انكاره للغيبيات واستعلاء مفاهيمه للمخسوس والعقل والتجربة وانكار ما سواه من وسائل المعرفة .

اما الاسلام فان منهج المعرفة الذي اقره استمدادا من القرآن الكريم يجعل للمعرفة جناحين هما العقل والقلب ، ومن هنا فهو يجعل عناصر الفكر كلها تدور حول بناء الفرد وبناء المجتمع ومن هنا فلا تنفصل فيه الاجزاء ولكنها تتكامل وتتلاقى في توازن وموائمة شاملة من حيث ان الانسان نفسه روح ومادة وقلب وعقل .

والاسلام يقر التخصص ولكنه يراه مرحلة تالية للتكامل غير منفصل عنه فنظرة الاجتماعى في الفكر الاسلامى تشمل السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس والتربية وكذلك كل عامل في مجال من هذه المجالات .

والادب في مفهوم الاسلام لا ينفصل عن ترابطه بالمجتمع والاخلاق والدين .

١٦ - اللغة والفكر

تجرى محاولة التغريب والغزو الثقافي على قساعة القول بأن اللغة ملك لاهل العصر ، ومن حقهم ان ينظروا فيها نظرة تفصلها عن ماضيها وكيانها . ومن الحق ان يقال ان هذه النظرة الى اللغة : هي نظرة غربية وليست عربية اصيلة . وذلك ان اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى بظاهرة اساسية هي نزول القرآن الكريم بها ومن ثم فلم تعد لغة اهلها او لغة عصر بذاته ، فيكون من حق اهل هذا العصر او هذه الامة ان تعمل فيها عملها .

فاللغة العربية ليست لغة قطر واحد ، ولكنها لغة العرب عامة ، وهى لغة وطن للعرب ولغة ثقافة لسبعمئة مليون مسلم ، ومن هنا تبدو صعوبة القول الجرىء بقدره احد على التصرف فيها من خلف هذه الملايين ودون ارادتهم ويعمل قد ينسد عليهم ثقافتهم واتصالهم بالفكر الاسلامى وبالقرآن واسس الاسلام نفسه التى ارتبطت باللغة العربية ارتباطاً جذرياً . وعلى الذين يتصدون لامر اللغة ان يعلموا ان اللغة العربية تختلف عن اللغات الاخرى من حيث انها لغة امة ولغة فكر .

وان الدعوة الى تحرير اللغة هى دعوة مفروضة يراد بها عزل اللغة عن القرآن والايمان بها فى متاهات العمية وبذلك تنفصل الاقطار العربية ، كأمة ، وتنزل عن ثقافتها وتراثها الاسلامى .

١٧ - المعرفة والعقيدة

هناك محاولة لتميع الفارق بين المعرفة والعقيدة وذلك تحت اسم « وحدة الثقافه » فالمعارف عامة والعقائد خاصة . ولكل امة عقيدتها والعقائد كالثقافات تستمد مقوماتها من قيم الامم وأخلاقها .

وللأمة العربية عقائدها التى تتصل بدينها وطبيعتها تكوينها اما المعارف فهى عالية عامة ليس لها طابع قومى او وطنى .

ومن هنا فان الدعوة الى التفرقة بين المعرفة والعقيدة

هى عمل من اعمال الاصاله الفكرية والحفاظه على الذات
وحمايه العقائد التى تقوم بالاساليب من اديانها
وقيمها ومثلها العليا ، وفى مجال العرب والمسلمين نجد ان
عقائدها لها طابعها الخاص المستمد من القرآن والاسلام
ولنا نظرتنا التى تصوغها عوامل كثيره شكلت هذه الامه
قوامها التوحيد والنبوه والغيبيات والارتباط الكامل بين القلب
والعقل والعلم والدين والدنيا والآخرة وتقوم الاخلاق فيها باقامه
حزام شامل او قاسم مشترك اعظم على مختلف القيم
والمقومات فى مختلف ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد
والقانون وانثربيه .

ومن حقنا فى ضوء قيمنا ان ننظر فى المعارف العلميه
وان نأخذ وزدع ، دون ان تفرض علينا فلسفه ما او نظريه
ما او مذهب من المذاهب التى تصطرع فى الثقافات العالميه
والفكر البشرى .

ومن حق كل امة لها ثقافتها الخاصه وفكرها المستمد
من مقوماتها ودينها ان تشكل عقائدها على النحو الذى يتفق
مع ذاتيتها الخاصه وتستمد وجوده من كيانها ويصدر عن
مواجهها النفسى والاجتماعى .

١٨ - الفلسفه والعلم

هناك شبهه اخرى تتصل بالفلسفه والعلم ، ذلك ان
دعاة التغريب يحاولون القول ادعاء بان هذه المذاهب
الفلسفيه المنثوره هى علم خالص ، والحقيقه ان هناك
مارقا عميقا بين العلم وبين الفلسفه .

وكتوطئة للتفصيل نقول ان مختلف نظريات المعرفة الآن تجرى في مجال علمي وتعتمد على الاحصائيات والتجارب والنظريات العقلية والتجريبية غير ان مجال النظريات الانسانية يتعذر معه ان تقوم الدراسات فيه على النحو العلمي المعلى التجريبي ، لانه يتصل بالنفس والانسان والعقل والقلب والفرائز والروح ؛ وهذه كلها قوى معترف بها ولكنها لا تخضع للمعمل ، ولذلك فان الابحاث في مجال النفس والاخلاق والاجتماع والتربية لا يمكن ان تقوم على اساس علمي بمعنى التقدير المعلى والتجريبي ، وقد تقرر ان هذه النظريات الانسانية هي « فلسفة » وليست « علما » ومن هنا فان ما تصدر عنه ليس علما خالصا يمكن ان يقال انه حقائق ثابتة مقررة تقبل كقوانين ويسلم بها تسليما صحيحا وانما يكون « العلم » قاصرا في الحقيقة التي يقررها المعمل في مجال الطبيعيات والكمياويات وعلوم الطب وغيرها من العلوم .

اما بالنسبة لدراسات النفس والاخلاق والاجتماع فانها لا تخضع لذلك ولا يجوز ان يقال لما يصل اليه الباحثون فيها انه حقائق علمية ثابتة مقررة .

وغاية ما يقال فيه انه وجهة نظر فيلسوف ونظرية قابلة للصواب والخطأ ، وقد تصدق في بيئة ولا تصدق في اخرى وقد تصلح لعصر ولا تصلح لعصر آخر .

واذاك فان وصف نظريات اجتماعية او نفسية ما بانها علم ، هو قول لا يقره العلم نفسه ولا يقول به اصحابه .

ولابد لنا في مجال الفكر الاسلامي والثقافة العربية ان نكون حريصين اشد الحرص على هذه التفرقة وعلى معرفة ما هو علم وما هو فلسفة .

وان نكون على ثقة بأن كل أمر غير « القرآن » والسنة والصحيحة عن الرسول الامين المؤيد بالوحي ، يؤخذ منه ويرد عليه وليس لها شبهة قداسة او تسليم كامل مع ملاحظة ان بعض النظريات العلمية التجريبية التي ثبتت سنوات طويلة قد جاءت اليوم نظريات اخرى هدمتها كنظرية الجواهر الفرد وغيرها .

١٩ - الثقافة والحضارة

من الشبهات الخطيرة المثارة والتي كثر تردها القول بترابط « الثقافة والحضارة » .

وان على الامم التي تأخذ الحضارة الغربية ان تأخذ الثقافة ايضا ، ذلك لانه لا سبيل الى التفرقة بينهما .

ومن الحق ان يقال في هذا المجال ان الامم حين تقتبس من امم اخرى لا تنقل الثقافة ، ولكنها تنقل الحضارة الممثلة في الوسائل المادية في الحياة الاجتماعية ، اما الفكر فلا سبيل الى نقله ، لان لكل امة فكرها وتجربة اوريا مع الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي قد سبقت على الطريق ، فقد نقل الغربيون الحضارة الاسلامية وترجموا العلوم ونقلوا المعامل وادوات التجارب ولكنهم لم يقبلوا الفكر الاسلامي المستمد من القرآن والتوحيد ، واقاموا فكرهم وثقافتهم على اساسها

القديم المستمد من الفلسفة اليونانية الافريقية ، وجاءت استمداداتهم من الفكر الاسلامي خالية من طابع هذا الفكر ، فقد جردوها وصهروها في ثقافتهم وكيانهم ، فلم يتحولوا بها ، فلماذا لا يقف المسلمون مثل هذا الموقف ويقلدوا الغرب في هذه الخلعة ، وذلك هو الامر الطبيعي للامم والثقافات والاتجاه الصحيح لعلاقات الحضارات بين الشعوب .

فالقول بأن على العرب والمسلمين ان ينقلوا الحضارة وثقافتها « ما يحمد منها وما يعاب » هو قول باطل مغرض وهو صوت التغريب والغزو الثقافي ، وهو ليس خالصا لوجه الحق ولا وجه العلم ولا خالصا في نصح هذه الامة ، ولكنه زيف وغش يراد به صهر هذه الامة في اتون الفكر الغربي ، وتحويل الفكر الاسلامي الى فكر تابع ذليل قد سقطت عنه مقوماته وذاتيته وذاب في الاممية والشعوبية العالمية وهو امر لن يحدث في الاسلام ، وجذوره العميقة التي لا يمكن ازالتها ولان المسلمين والعرب قد بلغوا مرحلة الرشد الفكري فلم يعودوا يخدعون عن رأي مضلل مزخرف ، فضلا عن الثقة الكاملة بأشارة القرآن (نحن نزلنا الفكر وانا له لحافظون)

٢٠ — قولوا من كتب اولا

من اخطر ما يواجه الباحث والقارئ الاسلامي وجود مؤلفات ودراسات وموسوعات كثيرة عن الاسلام والفكر الاسلامي كتبها اقلام عربية او اجنبية ، لاغلبها شهرة ودوى فاذا اراد الباحث او القارئ ان يتعرف الى شيء من التاريخ او الفقه او اللغة سارع الى مثل هذه « المراجع ! » فنظر فيها وظن انه بذلك قد وصل الى مقطع الراي في الامر الذي

يبحك عنه . والحق ان المنهج العلمى للبحث والمراجعة لها اصول وقواعد تقوم على اساس التعرف الى امرين الى شخصية الكاتب اولا ثم الى سلامة النص .

وليست شخصية الكاتب هنا تكون موضع الثقة لانها مشهورة او لامعة او يجرى تداول اثارها ، فان حركة الغزو الثقافى والتغريب قد اثارت حول بعض كتابها واتباعها ضجيجا وشهرة وحاولت به ان تدغم مراكز هؤلاء فتصبح كتبهم مراجع موثوقا بها ، ومن هنا فقد كان علينا ان نتواصى ونوصى ابناءنا وتلاميذنا دائما ان يعرفوا من كتب اولا ، وان نعرض هؤلاء الكتاب على مقاييس الجرح والتعديل التى عرفها فكرنا الاسلامى منذ وقت بعيد وحقق بها اصدق نظرة علمية فى تقدير الكتاب وما يكتبون .

والمسلم لا تهزه الاسماء اللامعة ، ولكن يهزه الحق والصدق ، وهو يؤمن اساسا بأنه ليس هناك حق صادق موضع الثقة غير القرآن المنزل وكلام الرسول المعصوم « السنة الصحيحة » وما دون ذلك فهو شيء (يؤخذ منه ويرد عليه) ويقبل ويرفض ، ويعرض جميعه على اصول القرآن ومنطقه ومنهجه فان اتفق معه قبه والا رفض ، اما الاسماء اللامعة والمراجع ودوائر المعارف وغيرها من كتب فانها يجب ان تكون موضع نظر ، فان هناك شرا كثيرا لحق بهذه الاعمال

٢١ - الاحجار والبطولة

تختلف نظرة الفكر الاسلامى عن نظرة الفكر الغربى فى امور كثيرة ، وفى مقدمتها « البطولة » وتقديرها والاحتفاء

بها ، فالاسلام لا ينظر الى البطل او العظيم بقدر ما ينظر الى (العمل) الذى قدمه ، ولذلك فهو حين يحتفى بالبطل يعيد الذكر والتقدير لعمله ، ويدعو الى الانتفاع به ، وهذا هو السر الصحيح الواضح وراء انصراف الاسلام عن الصور والتمثيل كوسائل لتكريم الأبطال .

ذلك ان تلك الاسماء الكثيرة التى تتردد فى الغرب على انها آلهة وانصاف آلهة ، مما اورده اليونان والرومان وغيرهم هؤلاء جميعا لم يكونوا فى الاصل الا ابطالا اعجبت بهم امتهم وتعلقت بهم ثم شاعت بعد ذلك ان ترفعهم من مقامهم الانسانى الى مقام المتأليه .

وانصرفت عن مفهوم التقدير العملى لعمل البطل الى عبادة البطل نفسه . وبذلك نشأت عبادة جديدة صرفت الناس عن العبادة الاصلية وهى عبادة الله الواحد الاحد .

وقد أصبحت عبادة الابطال ، وعبادة الجمال ، وتأليه الانسان عبادات تتفق مع طبيعة النفس الغربية التى استمدت مفاهيمها فى العصر الحديث من الوثنية اليونانية .

ومن هنا فقد حرص الاسلام على تحرير أهله من عبادة الفرد ، او عبادة شيء ما ، الا الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا كان حرص القرآن على ان يصف اعظم شخصية عند المسلمين وهو محمد صلى الله عليه وسلم النبى المؤيد بالوحي بانه بشر ، وأنه يحيا ثم يموت وأنه رسول ، يدعو الناس الى الدين الحق وإلى عبادة الواحد الاحد ، ومن هنا

حفظ الاسلام مفهوم البطولة من الانحراف الى عبادة الفرد ،
وحفظ عبادة الله من الوثنية او الشرك .

لقد رفع الاسلام عن الفكر الانسانى والعقل الانسانى
القيود وحرره من الاصفاذ ، ولم يجعل للاجبار والتمائيل
والاصنام مكانا فى ايمانه القائم على « التوحيد » الخالص

٢٢ - كتب المحاضرات ومكانها فى الحديث العلمى

من اخطر ما يواجه الباحث المسلم والقارىء المسلم
تلك النظرة الساذجة التى لا يستطيع معها ان يفرق بين
الجوهر والعرض فيما يقدم له من التراث الاسلامى العربى

فهناك كتب الاصول وهناك : كتب المحاضرات والتسليية
وبينهما فارق كبير ، والبحث العلمى يجب ان يقوم على كتب
العصر الاول التى استمد منها من جاء بعد ذلك من الباحثين
مقد القى الى الفكر الاسلامى بعد القرن الثانى مكر غريب عنه
من مترجمات اليونان الوثنى ، ومن مترجمات المجوسية
الفارسية القديمة ومترجمات الغنوصية الهندية ، وقد كانت
هذه الفلسفات والمفاهيم بعيدة عن التوحيد قائمة على اصول
حاربها الاسلام وقاومها ، ولقد وقع الصراع بين حقيقة
الاسلام ، وبين هذه الفلسفات وامتد طويلا ، ثم انتصر الاسلام
من بعد ، غير ان هذه الكتب وهذه الآراء مازالت موجودة ،
وقد بحث عنها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب واعادوا
طبعها ليثيروا بها التشبهات من جديد فى فكرنا .

ومن هنا كان من الضرورى التيقظ للمصدر والمرجع

والتراث القديم ، ولقد حاول بعض كتاب الادب والنقد تقديم كتب المحاضرات الى الباحثين في الجامعات وكليات الادب ، ومن اجل اتخاذها مراجع يعتمد عليها في اقرار شبهات أو افساد القيم العربية الإسلامية ، ومن هذه الكتب :
الف ليلة والاعانى وكليلة ودمنة ورسائل اخوان الصفا وما جمعه الرواة من احاديث واكاذيب واضاليل مما اشار اليه ابن النديم في كتابه الفهرست وهو من القصص الذى كان يدور على الالسنه وليس له اى سند علمى صحيح .

ولو راجعنا تاريخ ابتعاث هذه الكتب واعادة طبعها لعرفنا ان الذين قاموا بذلك هم المبشرون والمستشرقون وخريجوا معاهد الارساليات وان ذلك كله كان ضمن خطة واضحة مجددة يراد بها اغراق الدراسات العلمية بكل مضطرب ومشكوك فيه واعطائه صفة المراجع العلمية .

٢٣ - الف ليلة والاعانى

يعد كتاب الف ليلة والاعانى في مقدمة الكتب الخطيرة التى حاول الغزو الثقافى التركيز عليها واعطائها صفة المراجع العلمية والتى قدمها كثير من الباحثين لطبقتهم ، واعتمدوا هم عليها في اقرار احكام باطله ومن ذلك هذا الحكم الذى اصدره احد الكتاب (١) معتبدا على كتاب الاغانى وحده من ان العصر الثانى الهجرى (كان عصر شك ومجون) وقد تجاهل هذا الكاتب ان الاغانى ليس كتاب تاريخ وانه لم يكتب الا عن شئ واحد هو الاغنى بينما كانت الحياة

(١) الدكتور طه حسين .

الفكرية والاجتماعية في العصر الثاني الهجري تزخر بفنون مختلفة من الفقه والادب واللغة والتصوف والرهو والعمل التجريبي ومباحث الاقتصاد والسياسة ، وكبار ههناك عشرات من الباحثين والعلماء ، يمثلون واجهة هذا المجتمع ، ولم يكن امثال ابي نواس وبشار وغيرهم من المهجين الا ذيو لا لهذا المجتمع فمن الخطل اعتمادهم مصدرا لاقرار حكمهم على عصر بكامله .

٢٤ - شعر عمر الخيام

هنالك بعض الاخطاء المتعمدة والمغالطات المقصودة ، التي تداع في براعة وتبث في مكر عميق ، تستطيع ان تثبت فترة وتستثري في غفلة من الحق ، طالما ان اصحابها يرعونها ويحمونها ويدافعون عنها ، وطالما يقف الناس في استسلام لا يقره الاسلام امام اى ظاهرة من الظواهر ، فتحن لن نستطيع ان نحقق مفهوم اليقظة والواجهة للغزو الفكري ، الا لهذا كناية في يقظة كاملة امام اى فكرة جديدة تلقى الينا ، ومن أخطر هذه الشبهات ما حاول الاستعمار ان يضيفه الى عمر الخيام العالم الفلكى الاسلامى البارع . من نسبة شعر وبثى اليه يحمل صورة عاصفة من الالحاد والاباحة والدعوة الى التحرر من القيم والاندياع في مجال الرغبات والاهواء .

ونقد صيغت هذه المؤامرة في براعة فائقة ، عن طريق الشاعر الانجليزى (فترجيرالد) ادعى انه وقع على شعر قديم بالفارسية للخيام وانه ترجمة الى اللغة الانجليزية ومن ثم اذيع هذا الشعر وجرى على الالسة وانتدب له فى الغربية من ترجمه واهتم به من امثال الزهاوى والباقى النجفى وابو شادى وغيرهم .

ويجري هذا الشعر على الألسنة وفي الأغاني واحتفل به الاستعمار البريطاني خاصة ففتحت الأندية في بريطانيا وفي أجزاء كثيرة من العالم تحت اسم عمر الخيام ، ووضعت طوابع البريد والبطاقات ، واطلق اسمه على فنون من المشارب والاقمشة وغيرها .

وقد انقى هذا الشعر الى النفس العربية والذاتية الاستلاية لتحاول ان تطعمها في صميم مفهوما للتوحيد والايان بالله لتتحرف بها الى مفاهيم الوثنية الفارسية القديمة المستمدة من المجوسية والفلسفة الهندية القديمة ، ويقوم على ايثار اللذة والمتعة ، وافكار الجهاد والقوة وسلامة الشخصية الإسلامية القادرة دائمة على المقاومة وحماية الثغور ومواجهة العدو المتربس .

ولقد كان بالطبع للصهيونية العالمية دورها من وراء الاستعمار في نشر هذا الشعر وترجمته الى مختلف اللغات .

غير ان بعض اهل الحق وفي مقدمتهم العلامة مبشر الطرازي الحسيني الافغانى الملم بالادب الفارسى والعليم بتيارات التعريب ، لم يلبث هذا العلامة ومعه آخرون من الغيورين ان كشفوا عن هذه المؤامرة المدمرة ليس لافساد مكانة عمر الخيام وخدده ، بل لوضع مثل هذه الشخصية الكبرى في نظر المسلمين في مكان الداعى الى اللذة والشهوة واذاعة هذا الانحلال الذى يتنافى اساسا مع مفاهيمه الإسلامية وقيم القرآن وما عرفه المسلمون من طوابع للذاتية الإسلامية

والمزاج النفسى الذى صنعه لهم محمد صلى الله عليه وسلم
وجرى عليه أنتمهم من بعد .

٢٥ - التصوف ومفهوم الاسلام

يجرى الحديث فى الابحاث المختلفة حول التصوف دون
رؤية بعيدة او عميقة للتفرقة بين نوعين منه . النوع الاول
هو تصوف الاسلام والثانى التصوف التاريخى الذى نسب
الى أمثال الحلاج وابن عربى والسهورردى وغيرهم .

وهنا لابد من لتفرقة الدقيقة بين مفهوم الاسلام
للزهد والتصوف والعزوف عن متاع الدنيا وهو مفهوم
يستمد اساسا من القرآن ومن آياته المحكمة ، ومن سيره
رسول الله وسنته الصحيحة . وهو مفهوم غاية فى القوة
والكرامة واعلاء الشخصية الانسانية وترفيعها ودفعها الى
مكان انسيادة فى السيطرة على الاهواء والنزوات من ناحية
والايمان العميق الله وفضله وبيع النفس خالصة لله فى مجال
الجهاد والدفاع عن الحق ومقاومة الغزو وحماية النفس
الانسانية من الانهيار تحت ضربات الشهوات ولطماع .

وقد استهدف الاسلام بذلك خلق نماذج عالية من البطولة
الانسانية والشخصية الربانية ، التى عرفها تاريخ الاسلام
فى الخلفاء الراشدين وابطال الحروب وقادة الفكر واعلام
الجماعة الاسلامية .

هذا شئ واضح ، ومختلف اختلافا عميقا عما يرد

في التاريخ الاسلامي مما يوصف بالتصوف الاسلامي ماثلا
في شخصيات ومواقف قامت على اساس الفلسفة الوافده
من المدارس الاملاطونيه المحدثه ومن الجوسية ومن مفاهيم
الهنود القدماء القائمة على وجده الوجود والجلول والاتحاد
وغيرها من صور الغنوصيه كالاشراقية وغيرها .

فلاسلام في ذاتيه المفردة ، المختلفه عن جميع المذاهب
الفلسفيه والمفاهيم الروحيه التي قد توصف بانها دينيه او
عقائديه ، يقف وحده قيما على مفهوم التوحيد الخالص ، الذي
يقر لله الواحد الاحد كل السلطان والقوة والعلم ولا يشرك
معه في ذلك احدا من خلقه ، نبيا كان او وليا ، وهو قائم
بنفسه فيفصل عن الكون لا يتحد معه .

هذه هي الحقيقة التي يجب ان نستحضرها دائما ونحن
ننظر في تاريخ التصوف الاسلامي ، وفي الحديث عنه ، فلاسلام
تصوفه المستمد من اصوله والقائم في ظل التوحيد الخالص ،
اما ما اضطرب فيه المسلمون من بعد حول الفلسفات او حول
التصوف الفلسفي او حول الاعتزال وعلم الكلام فذلك كله
يؤخذ بحذر شديد وينظر اليه في ضوء القرآن وفهم الرسول
وتصرفه ، الذي لم يدع امرا من امور المسلمين الا ووضع
اساسه قبل ان يختار الرفيق الاعلى (اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) .

٢٦ - المعتزلة ومفهوم الاسلام

يتحدث المستشرقون كثيرا عن المعتزلة في تقدير شديد
واعجاب بالغ كانها هم وحدهم مفكروا الاسلام وكل ما طدهم

ليس شيئا مذكورا ، ويتابعهم في هذا كثير من التفريعيين
ودعاة الغزو الثقافي ، بل انهم ليغضبوا الى ابعد من ذلك
فيرون ان اليسر في ضعف المسلمين ووقوعهم في مرحلة
التخلف هو توقف عمل المعتزلة .

وهذا القول في ذاته مغالطة كبيرة وهو بعيد عن
الحقيقة ، التي يجب ان ننظر اليها من خلال ابعاد الفكر
الاسلامى كله ، فليس الاعتزال في الاسلام الا مرحلة من
مراحل التشكيل والبناء ، وهي مرحلة كانت لها اهميتها
في اول الامر ، عندما كانت تعمل لمواجهة دعاة الايمان
الآخري عن طريق الفلسفة والمنطق ، وقد ادت دورها وانتهى
امرها بانتهاء هذه المرحلة ودخول اهل الدولة الإسلامية فيه ،
اما امتداد الدعوة من بعد ، واتساعها وتوغلها في ميادين
خطيرة ، ومحاولة اعلائها للعقل وحده ، والاسراف في هذا
الاعلاء ، ثم اتصالها بالنفوذ والسلطان لتفرض مفهوما معيناً
على الناس جميعاً فهذا يبدو خطراً هذه الدعوة وخروجها
من جادة الحق ، وذلك بمن انضوى تحت لوائها من خصوم
الاسلام من الملحنيين والمجوسيين واليهود الذى كانوا
يعيشون وراء مثل هذه الدعوات ويعملون لهدم الاسلام
من خلال حيلهم لهذه المفاهيم الضالة .

واقدر ركزت المعتزلة على الفلسفة اليونانية وهذا هو
سر اعجاب المستشرقين والمبشرين بها ، فها هنا كانت المحاولة
الكبرى لآخراج الاسلام عن جوهره وذاتيته ودفعه الى نفوذ
الفلسفة اليونانية لتغتاله بعد ان اغتالت اليهودية والمسيحية
الغربية من قبل .

ولكن الاسلام بسلامة جوهره ووضوح ذاتيته استطاع
 بعد معارك طويلة أن ينجو من سيطرة الفلسفة اليونانية
 ومن سيطرة الاعتزال وعلم الكلام والتصوف الفلسفي
 جميعا ذلك لان الاسلام قد حدد منهج المعرفة الاسلامي
 على أساس واضح : هو ثقافة القلب وثقافة العقل معا
 ملتحقة منصهرة ، وهي في ذلك تستمد أساسها من الانسان
 نفسه فهو روح ومادة وعقل وقلب ، ولذلك فان أى محاولة
 في الفكر الاسلامي او المجتمع الاسلامي حاولت ان تعلى من
 شأن العقل وحده كالمعتزلة او من شأن الوجدان والقلب وحده
 كالتصوف الفلسفي والاشراقي قد سقطت لأنها لا تتفق مع
 طبيعة الاسلام وذاتيته ومزاجه النفسي والاجتماعي .

٢٧ - الاخلاق في الاسلام ومفهوم الفلسفات

ان الاخلاق في مفهوم الاسلام شيء اكبر من ان يكون
 عنصرا او فرعا من فروع الحياة انه عامل مشترك على
 مختلف عناصر الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية
 والقانون .

واتد جاء الاسلام : (عقيدة وشريعة واخلاق) منهاجا
 كاملا للحياة مترابطا تمام الترابط ، متكاملا متوازيا لا يضلح
 جانب فيه دون الجانب الآخر ، او منفصلا عن الآخر .

والاخلاق في الاسلام تختف عن مفهوم الفلسفات
 التي سيطرت على بعض الديان والمذاهب ، فهي ليست
 نظرية وليست منفصلة عن العقيدة ، فهي تستمد وجودها من
 الايمان بالله ومن الترابط بينها وبين المعاملة والشريعة .

ولقد حاول بعض فلاسفة الإسلام أعلاء شأن مفاهيم الفلسفة اليونانية حين ترجم تراثها وحاول البعض الربط بينه وبين الفكر الاسلامي ، ولكن الاسلام كان قد اقام قانونه الاخلاقي مستهدا من القرآن على أساس التقوى والعمل ، ولذلك فالاخلاق الاسلامية لا تؤمن بتعبير « السعادة » الذي يتردد في الفلسفة اليونانية فالتقوى هي ابرز معالم الاخلاق الاسلامية : اتقاء الخطر والمحذور والحرام والشر والنزول عن الحق الطبيعي والمكتسب في سبيل الآخرين والحفاظ على الذات الانسانية كريمة عالية بعيدة عن عوامل التدمير التي تفرضها عليها الشهوات والمطامع ، سواء في مجال التعامل المادي او مجال الطعام او الحس .

ولقد كانت الاخلاق اليونانية اخلاق نظرية خالصة منفصلة عن واقع الحياة ، وكانت الاخلاق في فلسفات المجوسية والهندية زاهدة منعزلة عن المجتمع وكلاهما لا يعترف بواقع الحياة بينما يقوم مفهوم الاخلاق في الاسلام على ارض الواقع وعلى أساس الاعتراف بالامور الحسية وقد وضحت في النص القرآني (فاتقوا الله ما استطعتم) واقام الاسلام نظرية الاخلاقية على أساس ارضاء الفرائض في حدود الشرع ، دون الاسراف الذي يدمر الشخصية او يجعل من الانسان عبدا للاهواء .

٢٨ - فلنحذر دوائر المعارف

مما تزال دوائر المعارف التي ايدي الشباب العربي والاسلامي والتي كتبت باقلام اجنبية مليئة بالاخطاء والشبهات وهي اغلاط بعضها مقصود ضمن مخطط التفریب والفزوة

الثقافي ، وبعضها نتيجة القصور عن فهم الاسلام والقرآن
والمزاج النفسى العربى الاسلامى .

واذلك فقد كان من الضروري ان ينظر شبابنا في حذر
الى هذه المؤلفات كمراجع يعتمد عليها . ويعتد بها ، واغلب
كتاب هذه الموسوعات من المبشرين والمستشرقين الغساليين
وقد كتبوها لرجالهم الذين اعدوا للعمل في البلاد العربية
والاسلامية ، وقامت في الاغلب على مفهومهم الغربى للدين
والعقائد والاخلاق وعلى مفاهيمهم في تفسير التاريخ وفي ظل
نظرياتهم السياسية والاجتماعية والتربوية والقانونية المستمدة
من الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية ومن
وثنيات الامم القديمة كالفرعون والفرس واليهود ، وهى في
مجموعها تختلف عن جوهر الاسلام القائم على التوحيد والحق
والعدل والاعتراف بالغيب والنبوة والبعث والجزاء .

وما زلنا حتى الآن نتطلع الى دائرة معارف عربية
اسلامية تواجه بها الاخطاء الكثيرة التى تحفل بها دائرة
المعارف الاسلامية وقاموس المنجد والموسوعة العربية
الميسرة وغيرها مما يعتمد عليه في مدارسنا وجامعاتنا
ككتاب بروكلمان وفيليب حتى ، ومن خير الموسوعات الجديدة
بالمراجع دائرة فريد وجدى والقاموس الاسلامى لاحمد عطية
الله والقاموس السياسى له ايضا .

وقد اعطانا الاسلام قاعدة نلتزم بها في مناهج البحث
العلمى هى التعرف الى الرجال الذين نأخذ عليهم ، عارضين
اياهم على قاتون (الجرح والتعديل) فلا نقبل منهم اذا كانوا
قد اتهموا بالزندقة او التبعية للتغريب او النفوذ الاجنبى .

٣٠ - منهج المعرفة في الفكر الاسلامي

ما يزال نفوذ التغريب يغرى المسلمين بنظريات مضطربة فيها بليلة خطيرة فهو يعلى اجيانا من شأن التصوف الفلسفى ويترجم ترجمات واسعة للحلاج وابن عربى وغيرهم محاولا ان يجعلهم صورة لمفهوم الاسلام ؛ بينما يقبضون مستشرقون آخرون بالاهتمام بالمعتزلة وأعلاء شأنهم وقد جرى كثير من كتابنا ومفكرينا وراء هؤلاء دون وعى لحقيقة مفهوم منهج المعرفة الاسلامى.

والواقع ان المعتزلة والصوفية كلاهما لا يمثلان مفهوم المعرفة في الفكر الاسلامى ؛ اذ ان المعتزلة كانت تعلى من شأن العقل وقد بلغت في ذلك اقصى درجات المغالاة بينما اعلت الصوفية من شأن القلب والوجدان واعنتهما سبيلا وحيدا الى المعرفة .

بينما الاسلام يقرر منهج المعرفة فيه على اساس العقل والقلب معا ويقيم مفاهيمه على اساس ترابط الروح والمادة والدينيا والآخرة ؛ وهو لا يقر مفهوم العقل وحده فالعقل لا يستطيع ان يحكم في كل القضايا كما لا يقر مفهوم القلب وحده فان قضايا المجتمع الاسلامى جياع بين عالمي الغيب والشهادة .

ولقد تعددت نظريات الفلاسفة حول منهج المعرفة عن طريق الوجدان او عن طريق العقل ولكن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من مصادرة ومنابعه الاصلية انما يستمد منها معا في جماع وموائمة وتربط وتكامل مصدره الانسان

تفنته . فما دام الانسان يجمع في كيانه بين المادة والروح ،
وبين العقل والقلب فان المعرفة تقوم عليهما معا .

ولقد ذهب الغربيون الى اعلاء العقل وحده وانكروا
الغيبيات بينما ذهبت الفلسفة الشرقية العنوصية الى اعتماد
مفاهيم الوجدان والبصيرة وحدها وكلاهما يختلف مع جوهر
الاسلام واصوله .

ولربما أشاد المستشرقون بالمعتزلة من أجل اتصاف
مذهبهم بالفيلسفة اليونانية وكان لهم مطمع في ان تاكل الفلسفة
اليونانية الاسلام كما اكلت من قبل المسيحية واليهودية ،
ولكن المسلمين الذين صارعهم الفلسفة اليونانية طويلا لم يلتوا
ان انتصروا وحققوا منهجهم وجاء الامام العظيم ابن تيمية
فكتب كتابه (الرد على المنطقيين) وهاجم مفهوم الفلسفة
اليونانية جملة وكشف عن ان للقرآن منطقا خاصا ومفهوما
ذاتيا متحررا من الوثنية الاغريقية ومن العنوصية الشرقية .

٣١ - نظرية وحدة الثقافة أو (الثقافة العالمية)

من اخطر محاولات التغريب والغزو الفكرى ، دعوى
ما يسمى بالثقافة العالمية ووحدة الثقافة الانسانية وهى
احدى مخططات الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى
ذلك ان لكل امة ثقافتها التى تستمد من مقومات وجودها
وعقائدها وفكرها وتراثها ولغتها ، وان امة من الامم ما دامت
قد بلغت درجة الرشد الفكرى والتحرر من التبعية لا تستطيع
ان تذوب في ثقافة امة اخرى او تعتنق فكرها .

والثقافة تختلف عن المعرفة العامة وعن العلوم ،
معارف والعلوم هي نظرات عامة شاملة لكل الأمم
والشعوب ، يمكن استعارتها واستيرادها ، وهي ملك
للحضارات والمدنيات فكلها قد شاركت فيها على مدى التاريخ
الطويل ، ولكن الثقافة ليست كذلك ، الثقافات
قومية ، مرتبطة بالأمم ، والعرب لهم ثقافتهم المستمدة من
الإسلام والقرآن والشريعة الإسلامية واللغة العربية وتلك
الذاتية المؤمنة القائمة على التوحيد والعدل .

ولذلك فانه من أكبر صور الخداع والمؤامرات أن يقال
أن هناك ثقافة عالمية أو وحدة للثقافة الانسانية تجمع الأمم
جميعا ، وأنه إذا كانت توجد هذه الثقافة فان دورنا فيها
سيكون دور التابع ، الخاضع للكيان الضخم الذي تفرضه
الثقافة الغربية ، وهو دور لا نقبله ولا نرضاه ولقد كانت
الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامى ذات دور عالمي
وانسانى فعال ولا يزال اثرها واضحا وقويا فى الحضارة
الحديثة والفكر البشرى كله الذى لا يمكن أن يلتقى عى وحدة
ولكنه يتقبل ما يتناسب معه أن الثقافات المختلفة دون
أن ينصهر فيها أو ينطوى داخلها .

ولقد طرحت الصهيونية شعار الثقافة العالمية كهدف
من اهدافها الرامية الى تدمير ثقافات الامم ، وتحطيمها من
داخلها وفرض تلك النظريات الفلسفية التى دمرت الحضارة
الغربية ومنها الوجودية والفرويدية والماركسية .

٣٢ - اللغة والانفصال عن القرآن

هذه محاولات لتقييم اللغة العربية وفق مفهوم اللغات

الأوروبية بأنها ملك للامم ومن حق الامم تطويرها وتعديلها والحذف منها ، واعلاء العاميات واتخاذها لغات قومية بين جيل وجيل ، ولكن اللغة العربية دون لغات الارض جميعا لا تخضع لهذا المنطق ولا لهذه النظريات ، وذلك لامر واحد هو ارتباطها بالقرآن ، الذى حفظها خمسة عشر قرنا فايقى فكر القرن الاول حيا نابضا لقارىء اليوم دون ان يحتاج الى معين ، بينما لم يحدث ذلك لاي لغة من اللغات الحية اليوم اتنى لا يبلغ تراثها اكثر من اربعة قرون منذ اختفت اللغة اللاتينية وظهرت عاميات الفرنسيين والانكليز والالمان واصبحت لغات .

ان اللغة العربية هي لغة امة ولغة فكر ، فمن حيث هي لغة امة هي الامة العربية تعد حافظة لوحدة شعوب هذه الامة وفكرها وتراثها ، ومن حيث هي لغة فكر فهي لغة المسلمين في مختلف انحاء الارض ويبلغ عددهم اليوم سبعمائة مليوناً تجمعهم جامعة القرآن والسنة والفقه وكلها من ميراث اللغة العربية .

ولقد كانت اللغة العربية هدفا من أخطر أهداف النفوذ الاجنبى ولذلك فقد ركز عليها في محاولات لاثارة العاميات في مختلف أنحاء العالم العربى عن طريق الاذاعات والقصص والمسرح ، وكلها محاولات لن تؤدى الى تفكيك اللغة العربية او دخولها المتحف ، وسيظل القرآن يحفظ لها وحدتها وقوتها وكيانها .

وان الدعوة الى اقامة لغة وسطى بين العامية والفصحى هي احدى محاولات الغزو الفكرى وليس الهدف منها الا انزال

العربية المكتوبة درجة من طابعها الذي يجرى مع بلاغة القرآن. والهدف هو فصل اللغة في مستواها البلاغى عن القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهى اضعاف فهم للقرآن واستيعابه وهو امر هام وخطير ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها فاللغة فكر اساسا والعربية الفصحى مرتبطة اساسا بذاتية الاسلام ومزاجه النفسى والاجتماعى .

٣٣ - فترة لضعف وليس عصر الانحطاط .

من اخطر ما وجه الى عصر التجميع الذى وقع بعد سقوط بغداد وحتى قبل النهضة الحديثة التى بدأت باليقظة العربية الاسلامية من قلب الجزيرة العربية وليس بالحركة الفرنسية كما يردد التغريبيون ، اقول ان من اخطر ما وجه الى هذه الفترة عبارة (عصر الانحطاط) وهى كلمة بداها المستشرقون والمبشرون ودعاة التغريب من رجال الارشاليات التبشيرية التى انتشرت فى العالم العربى والاسلامى .

والحق ان هناك فترة ضعف فى تاريخ العالم الاسلامى وهى مرحلة لا تزيد عن قرن ونصف قرن من الناحية السياسية وذلك خلال ضعف الدولة العثمانية كالجائر ومصر ، غير ان هذه الفترة لم تكن مطلقا فترة انحطاط فكري فقد برز فيها عدد من الموسوعيين الاعلام الذين جمعوا الفكر الاسلامى فى موسوعات متعددة فحفظوه بها وحموه من التشتت والضياع ومهما وجه الى هذه الموسوعات من نقد لضعف التبويب او نقص التحليل فانها تمثل عملا ضخما لا يمكن ان يوصف عصره بأنه عصر انحطاط ، لقد كانت كلمة الانحطاط

من كلمات الحقد الغربى والتعصب الموجهة الى الدولة العثمانية التى أرقّت أوربا أربعمئة عام وحطمت مؤامراتها على العالم الاسلامى وحالت دون استئناف الحملات الصليبية مرة اخرى .

ان هناك كلمات ومصطلحات يجرى ترديدتها فى كتب التاريخ والادب قد دست بغرض تحطيم معنويات هذه الامة وعلمنا ان نتحرر من هذه الالفاظ وان نصصح المفاهيم .

٣٤ - اسقاط الحضارة الاسلامية

هناك محاولة متعمدة الى تجاهل الحضارة الاسلامية واسقاطها من التاريخ العالمى عندما يجرى الحديث عن النهضة والحضارة . ذلك ان الغرب يحاول دائما ان يربط الحضارة بأرضه وفكره فيرى ان الحضارة الرومانية قد سقطت فى القرن الخامس وان عصر النهضة فى الحضارة الحديثة قد بدأ فى القرن الخامس عشر ، ويطلق على الفترة الواقعة بين الفترتين (العصور الوسطى المظلمة) وفى هذا التصور تجاهل لعشرة قرون كاملة كان للاسلام والحضارة الاسلامية اكبر الاثر فى ابراز حضارة جديدة قامت على العلم والخلق معها واتخذت منطلقها من التوحيد ، واضاءت العالم كله واعطت البشرية نهجا كريما وطرحت على العالم كله قيما غاية فى القوة والعدل والحق كانت تفقدها ولذلك فانها سرعان ما شكلت مجتمعا ضخما واسعا امتد من الصين الى حدود فرنسا فى قلب اوربا فى فترة لا تزيد عن سبعين عاما وهو حدث ما يزال موضع دهشة الباحثين والمؤرخين .

والحضارة الاسلامية المستمدة من القرآن هي التي قدمت الى الانسانية « المنهج العلمي التجريبي » ومنهج المعرفة القائم على ترابط العقل والقلب ، وعن طريق الاندلس العربية المسلمة استطاعت اوربا ان تنقل معطيات الحضارة الاسلامية في العلم والفكر والمجتمع ، ومنها انطلقت حركة النهضة التي صنعت مقررات الحضارة الحديثة .

غير ان التفريب والتبشير والغزو الاستعماري يحاول دائما ان يفضي عن هذه الحقيقة الضخمة على اساس ان الجنس المزهو المستطيل بدمه وعنصره لا يريد ان يشاركه عنصر آخر في بناء الحضارة ولا يعترف له بذلك ، وان النفوذ الاستعماري يريد ان يشعر اهل هذه الاوطان من العرب المسلمين بالذلة والتبعية ، ولذلك فهو ينكر فضلهم واثرتهم فاذا عرض لهذه الفترة قال : ان العرب والمسلمين نقلوا الفلسفة اليونانية وحفظوها وهذا ولا شك افتتات كبير على الدور الضخم الذي قامت به الحضارة الاسلامية غير ان هناك بعض المنصفين قد اشاروا الى الاثر الكبير واشادوا به ومنهم بريفولت ودابر وجوستاف لوبون والدكتورة هونكه في كتابها الحديث (شمس الله تشرق على الغرب) .

٣٥ - نظريات التربية الغربية

حاول الاستعمار في خلال فترة الاحتلال الطويلة التي سقط خلالها العالم الاسلامي في براثن النفوذ الاجنبي ، ان يفرض منهاجا في التربية والتعليم مستهدفا من مصادر فكرة مستهدفا بذلك اخراج اجيال خاضعة تابعة ، لا ترى في الاستعمار خصما وانما ترى فيه ولاء واعجابا . وقد نجحت

هذه المذاهج نجاحا منقطع النظير في هذا السبيل وكان من نتيجتها اغلب التحديات التي يواجهها العالم الاسلامى اليوم . هذه المذاهج التى فرضها النفوذ الاستعماري كانت تهدف الى امرين :

أولا : ضرب مقومات الفكر الاسلامى والثقافة العربية فى مختلف مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والتربية ، واشاعة الشبهات حول قيمنا العربية والاسلامية وتدميرها وخلق جو من الريبة والاحتقار والانتقاص حولها .

ثانيا : اعلاء مفاهيم الفكر الغربى والاثادة بها وتكريم بطولات الغرب وعظمائه وتاريخه وخلق جو من التقدير والاعجاب به والدعوة الى العالمية التى تسحق مقومات الامم وتدفعها الى الذوبان فى اتون الامم الغالبة .

واتد اكتشف العرب والمسلمون اخيرا وبعد وقت طويل مدى الاخطاء التى حاقت بهم نتيجة ذلك الاهمال وتلك السيطرة الخطيرة التى حققتها الارساليات الاجنبية بمدارسها وجامعاتها ومدى الأثر الخطير الذى تركته فى أكبر قضايا الأمة العربية والعالم الاسلامى الكبير وذلك الولاء العميق للامم الاجنبية الطامعة ، والتبعية التى خدمت اهداف الصهيونية والنفوذ الاستعماري ، كما ارتفعت الصيحات بالتماس منابع التربية العربية الاسلامية من مصادرها الأصلية كأسلوب وحيد لتحقيق العزة والقوة ولواجهة الغزوة الصهيونية والاهداف الاستعمارية .

ان اختيار العرب لحمل امانة الدعوة الاسلامية ، واختيار اللغة العربية لنزول القرآن من الامور التي ما تزال بعيدة الاثر في دراسات الاجناس واللغات والامم فقد اختار الله هذه الامة القائمة في قلب الجزيرة العربية لهذه الرسالة فاستجابات وحملت لواء الأمانة واندفعت بها الى آفاق الارض واستطاعت ان تقيم هذا المجتمع الاسلامي الكبير في فترة قليلة لا تتجاوز سبعين عاما ، واستطاع الاسلام ان يعطى الامة العربية هذه الوحدة وهذا التشكل الذي جعل منها امة بعد ان كانت مجموعة من القبائل ، كما اعطى اللغة العربية هذه المكانة الخطيرة بين لغات الشرق والغرب حين نزل القرآن بها ، وهذا القرآن الذي حفظ هذه اللغة من التمزق الى لهجات على هذا المدى الطويل بينما تمزقت لغات كاللاتينية وماتت لغات أخرى كثيرة واستطاع العرب وحدهم ان يفهموا النصوص المكتوبة منذ خمسة عشر قرنا ، بينما لا يتاح الآن لامة من الامم ان تفهم من نصوصها المكتوبة ما يتجاوز ثلاثة قرون ...

غير ان التفريب والغزو الثقافي انما يريد ان يعيد ربط الامم في حاضرها بماضيها البعيد متجاوزا هذه القرون الاربعة عشر ، متجاهلا اثرها الخطير في تكوين الثقافات وتشكيل العقلانيات والأمزجة ، ومن هنا جرت محاولة رد العرب الى الجاهلية والمصريين الى الفرعونية والسوريين الى الفينيقية والمغاربة الى البربر وهي محاولة فاشلة لم تحقق شيئا واثبتت عمق الروابط والجذور التي اكدتها صلة الامة العربية بالاسلام واللغة العربية وأكدت ان التاريخ لا يرجع القهقري

وان الامة التى دفعها الاسلام بمنهج القرآن الى التوحيد والعدل والاخلاق لا تستطيع أن تعود مرة أخرى الى الوثنية والعصبية وصدق الله العظيم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) المائدة آية ٣ .

٣٧ — مفهوم التراث وهل للإسلام تراث ؟

جرت محاولات تغريبية كثيرة لاضفاء صفة التراث على الاسلام والفكر الاسلامي ، وذلك حتى يفتح باب الشبهات من حول مضمون التراث وما يبقى منه وما يزول .

وللامم تراث تنظر فيه لتجد من بين آثاره ما يعينها على النهوض فتقبله وتضيفه الى واقعها وان بعد العهد به . وانفصلت، عنه الامم ، وتحولت في مسيرتها ، ومن مثال ذلك التراث اليوناني والروماني لامم الغرب ، هذا التراث الذي توقف الف، عام تقريبا وماتت لغته الاصلية (اللاتينية) منذ عام ٤٠٠ ميلادية ثم جاءت حركة النهضة (الرينسانس) في القرن الخامس عشر فأرادت احياؤه والاستمداد منه وربط الاواصر بينه وبين الحاضر ، وربما ظن بعض دعاة التغريب ان مثل هذا يمكن ان ينطبق على الفكر الاسلامي مستمر متصل خلال اربعة عشر قرنا متشابهة لم يتخلف الفكر الاسلامي ومن هنا يمكن أن يوصف بأنه تراث والواقع أن الفكر الاسلامي مستمر متصل خلال اربعة عشر قرنا متشابهة لم يتخلف الفكر الاسلامي فيها عن العطاء للحياة العربية الاسلامية والمجتمع والحضارة عطاء دائما متدفقا .

ومن هنا فان الفكر الاسلامي الحي القائم المتحرك

المتطور المتفاعل مع مجتمعه طوال هذا الزمن ، من العسير
لن يوصف بأنه تراث ، وآية ذلك لغته العربية التي لا تزال
تحفظ نصوصه حية نابضة حتى ليستطيع الباحث اليوم أن
يقرا لمن سبقوا خلال أربعة عشر قرنا وقبل ذلك ايضا دون
أن يحتاج الى جهد او قاموس ، فمفهوم التراث لا ينطبق على
الفكر الاسلامي الحي المتجدد الفعال وانما ينطبق على الفكر
الروماني واليوناني المبثوث المنقطع الذي انفصل الف عام ومن
ثم فقد حق أن يكون موضع المراجعة والتقدير والانتقاء . .

ومن الملاحظ هنا أن الفكر الاسلامي يرجع دائما في
مصادره الى الاصول الاولى وأنه لا يعتمد الابحاث المتأخرة
وخاصة ما كتب في عهود التخلف والضعف وقد يرفض منها
الكثير الذي لا يتفق مع الاصول المؤصلة المتصلة اتصالا
عضويا بالقرآن والسنة الصحيحة .

٣٨ - تجزئة الاسلام ، ودعوة تولستوى وغاندى

جرت دعوات خادعة في العصور المتأخرة ، تحاول
أن تحمل لواء السلام ونبذ الحروب ، والمقاومة السلبية وقد
نسب ذلك الى تولستوى وغاندى وحاول الدعاة ان يرجعوا
ذلك الى مفاهيم كلمات المسيح عليه السلام .

وكانت المحاولة الماكرة تحاول ان تصور الاسلام على
هذا النحو ، أو تنحى عنه جانب الغزوات والحروب وابواب
الجهاد والقتال ، وذلك حتى تخفى صورة المقاومة التي
يفرضها الاسلام ازاء الغاصب وازاء الغزو الخارجي . .

ولقد حرص الاستعمار البريطاني وخاصة في الهند
ان يفرض مفاهيم تحملها جماعات مضللة تصور الاسلام
بصورة السلام القائم على الجبن والاستسلام للفاسد ،
وكذلك حرص الاستعمار الفرنسي في الجزائر وغيرها ان
ينحى من دراسات الاسلام وكلمات الخطباء باب الجهاد ،
وذلك ايمانا من المستعمرين بأن ذلك هو اخطر ما يواجههم
في الاسلام وانه اداة المقاومة والدفاع عن النفس !

بل لقد بلغ الأمر ببعض الكتاب المضللين من قبل
التفريب والغزو الثقافي ان يقفوا موقف التفرقة بين الاسلام
في مكة والاسلام في المدينة وبين آيات القرآن المكي الداعية

الى الترقب والاصطبار وبين آيات المدينة التي تحرض
المسلمين على القتال .

والواقع ان الاسلام منهج اجتماعي كامل لا ينفصل
فيه الحرب عن السلم ولا يمكن ان يؤخذ من احد جوانبه
وحدها ، ولا يمكن ان يطبق على اى منهج اجتماعي آخر
فهو حاكم لا محكوم ، ومن اراد ان يأخذه فليأخذه كله ، نظاما
متكاملا شاملا ، ومن عجب ان الاسلام لا يدعو الى الحرب ولا
الى القتال ولكنه يدعو الى السلام على نحو اصدق مما
تدعو اليه مختلف المذاهب والدعوات ، فهو يدعو المسلمين
الى اليقظة وحماية الثغور وشحنها واعداد العدة ، من القوة
ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، وهو يدعو
الى الحذر فلا يلقوا أسلحتهم وأن يظلوا يقظين حتى لا يفاجئهم
العدو ومن ثم فهو لا يدعوهم الى الحرب وإنما يدعوهم الى
اتقانها ولو أن المسلمين أخذوا بمفهوم الاسلام لما اجتاحتهم

العدو في فترات الغفلة والقاء السلاح والانسلاخ من الصمود في المواقع الامامية والثفور وما اخذ المسلمون في كل عِزرو خارجي الا من هذه النقطة التي الح عليها القرآن واكدها مرارا .

٣٩ - الكشف والاستعمار :

من الاخطاء التي استمرت وقتا طويلا في كتب التاريخ والجغرافيا تصوير الزحف الاستعماري الذي قسام به ولفنجستون وصمويل بيكر وفاسكودي جاما وهنري الملاح على انه كشف للقارة الافريقية او اجزاء من آسيا او غيرها . بينما لم يكن هؤلاء جميعا من طلائع التبشير يحملون احقادهم علي المسلمين والعرب الى كل مكان وتاريخهم يشهد بما تاموا به من اغارات واحراقات .

وكل هذه المناطق التي ادعو انهم اكتشفوها في افريقيا كان العرب قد جاسوا خلالها وكتب عنها المؤرخون المسلمون فقد وصل ابن بطوطة الى اعالي نهر النيجر والى تمبكتو وسكوتو قبل ان يصل اليها الرواد الاوربيون بنحو ثلاثة قرون .

وما ذكر عن صمويل بيكر من انه اكتشف منابع النيل الابيض ليس صحيحا علميا فقد كانت هذه المعالم معروفة وقد وصفها رجال الحملة المصرية قبله بزمان طويل .

واما الهند فقد كانت معروفة قبل وصول ماركوبولو وفاسكودي جاما بقرون .

والواقع ان ما وصف بانه رحلات الكشف هذه التي وردت في كتب التاريخ والجغرافيا محاطة بهالة من البطولة لم يكن في الحقيقة الا زيفا اراد به الاستعمار ان يشعرونا بانه هو صاحب الفضل والعلم ، وقد كانت هذه الرحلات الطليعة الاولى للاستعمار وقد اُشار ولفجستون في احدى كتاباته الى هذا المعنى حين قال : ان نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري فان الارستاليات التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرجال الذين كانوا في الاصل دعاة ومبشرين .

والمعروف ان هؤلاء الرحالة من البرتغال والاسبان انما كانوا بمثابة طلائع لحركة التطويق التي بدأها الاستعمار الغربى بعد اجلاء المسلمين والعرب عن اسبانيا ضمن مخطط قصد به الطواف حول العالم الاسلامى والسببيطرة عليه من الخلف .

٤٠ - الخلاف بين الدين والعلم :

يردد التغريبيون دائما تلك الدعوى الزائفة التى تقول بالخلاف بين الدين والعلم ، وهى دعوى تهدف الى تصوير الدين فى موضع القصور وتصور العلم فى موقف القدرة والسيطرة العلمية الكاملة . وقد نقلت هذه القضية بجميع فصولها من الفكر الغربى وموقفه من دين الغرب الذين ليس هو المسيحية المنزلة السمحة . وانما ذلك الدين الذى صاغوه فى اطار من المسيحية وفى مضامين من الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانى .

وفي ظل هذه المفاهيم جرى الخلاف بين الكنييسة والعلوم الكيماوية والطبيعية التي بدأت تحقق نتائج هامة بعد ان استولت اوربا على معامل البحث التي انشاها العرب والمسلمون في اسبانيا ثم اخرجوا منها ، ومن هنا فان خطوات التقدم العلمى التي عرفتها اوربا انما كان المسلمون هم واضعوا اصولها وبناء قواعدها وهم اصحاب المنهج العلمى التجريبي الذى لم يكن يعرفه اليونان والذى صنعه المسلمون امتدادا لنظرة الاسلام الى العلم ودعوة القرآن الى النظر فى الكون وتطورا بالبحث العلمى من الفقه والتشريع الاسلامى اساسا .

ومن هنا يتكشف زيف الخلاف بين الدين والعلم فى الاسلام وفى الفكر الاسلامى ، وذلك ان الاسلام هو الذى صنع العلم الاسلامى ، واوربا هى التى سيطرت على هذه العلوم ثم نمتها ، فالخلاف خلاف محلى او خلاف اوربى ، او خلاف غربى قاصر عند حدود هذه الامم ، ولذلك فان امر نقله الى عالم الاسلام والعرب والى الفكر الاسلامى ليس الا محاولة مضللة يراد بها تزييف الحقائق واحداث البلبلة والاضطراب . .

فالمسلمون لم يعرفوا رجل الدين ولم يعرفوا الكهنوب ولا سلطة المنظمة الدينية وليست لهم منظمة كالكنيسة ولم يعرفوا الحكومة الشيوقراطية ، ولم يقرر كتابهم المنزل الموثق شيئا خالف العلم كما حدث بالنسبة لبعض الكتب التى تعرفها الاديان .

ولقد قامت نظرية الفكر الاسلامى فى منهج المعرفة .

على تكامل الدين والعلم ، وبين العقل والقلب ، وبين الروح والمادة ، وبين العقل والنقل ، ومن هنا لم يحدث أبدا ولن يحدث ذلك الصدام أو الصراع فإن الاسلام يعتبر العلم جزءا منه ، ويرى ان العقل وسيلة المحسوسات والقلب وسيلة الغيبات ولذلك فإن هذه الدعوى باطلة اصلا بالنسبة للفكر العربى الاسلامى .

٤١ - الاساطير وسيرة الرسول :

كان اخطر ما واجه الفكر الاسلامى فى مراحله الاولى تلك المحاولة التى ارادت ان تدخل الى السنة النبوية والى التفسير سيلا من الاسرائيليات والاكاذيب والاساطير ، وكان اصحاب هذه المحاولة هم خصوم الاسلام من يهود ومجوس وغيرهم ، وقد تنبه علماء المسلمين الى هذه الظاهرة فقاوموها كاملة وحاصروها حصارا شديدا حتى قضوا عليها وقام علم الرجال وعلم الجرح والتعديل وأمكن حصر التراث النبوى ككل وتحقيقه والكشف عن زائفه ، وكذلك جرى العلماء الى تنحية هذه الاكاذيب عن تفسير القرآن .

وفى العصر الحديث بدأت محاولات جديدة لاضافة الاساطير القديمة مرة اخرى الى سيرة الرسول بعد ان نقيت هذه السيرة تماما ، وحررت من كل الاكاذيب ، وذلك عن طريق (تاديب التاريخ) وهو ما حاوله من اطلق على كتبهم هامش السيرة وغيرها وهى محاولة خطيرة وبعيدة الاثر فقد اعطى هؤلاء الكتاب انفسهم حرية

الخيال فلم يقبلوا الأساطير على صورتها الساذجة القديمة بل أضافوا إليها وتوسعوا فيها .

وقد تنبه لذلك بعض الباحثين من أمثال الدكتور هيكل وغيره وكشفوا عن مدى الخطر الذي يتعرض له التاريخ الإسلامي بأحياء مثل هذه الأساطير القديمة الوثنية والإسرائيلية وإعادة اضافتها على سيرة الرسول المنقاة لظاهرة التي حررت تماما من كل زيف أو اضافة .

وقد تبين تماما ان هذه محاولة جديدة من محاولات التفریب ارادت ان تستغل الناس بالسيرة النبوية وعرضها عرضا جديدا عن طريق اسلوب موسيقى فنى ولكنه مسموم ، يحاول اضافة زيف الى الحقائق ، فى نفس الوقت الذى عمل فيه اهل السنة والجماعة وفى مقدمتهم الامام العظيم شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على تحرير الفكر الاسلامى والسيرة من ككل زيف وهو ما فعله كثيرون منهم الامام ابن كثير وما جرى عليه الامام محمد عبده والسيد رشيد رضا وكان الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية اصدق الدعاة اليه فهو ابو هذه المدرسة الحديثة وامامها .

٤٢ - الدين والضمير

من المحاولات الخطيرة فى مجال التفریب محاولة الفصل بين الدين والضمير والقول بأن العمل الاخلاقى يمكن ان يتخذ طريقة دون ان يكون الانسان عاملا بأوامر الدين ، وتلك دعوى تتردد اليوم بين المسلمين ، يقول أحدهم

انى والله افعل الخير واحسن الى الفقير وافعل ، ولكن امر
الصلاة والصوم شئ آخر .

ويظن هؤلاء انهم بهذا يستطيعون كسب محبة الناس
او رضاء الله .

والواقع ان الاسلام كل متكامل ونظام شامل كالعقد
الجامع فيه العقيدة والشريعة والأخلاق مرتبطة لا تتفرق
ولا بد أن يبدأ عمل الانسان كله بعد خلال اطار واضح صريح
هو الاسلام بقوانينه وانظمته وعباداته ومعاملاته فلو أنفق
الرجل الوف الجنيهات فلا قيمة لها اذا لم تكن في اطار الزكاة
مرتبطة بالصلاة والصوم ، على النحو الذى شرعه الله
وان اى عمل أخلاقى لا يمكن أن تكون له قيمة أصيلة اذ لم
يكن مرتبطا بنظام الاسلام كله على النحو الذى رتبته المنهج
القرآنى .

ان الغربيين حين أرادوا الخروج عن الدين رغب
فلاسفتهم في وضع منهج أخلاقى كبديل للدين نفسه فابتكروا
هذه الصور والأوضاع وحاولوا بها خلق مجال روحى او عقائدى
يلتمس من الدين شئون المعاملة فيجعلها منها قوامه الأخلاق
والاحسان والخير والبر المقطوع عن اصل الدين ، ولكن
مثل هذه الفلسفة قد فشلت في البيئات التى ارادتها ذلك لانه
لا سبيل الى الفصل بين اجزاء الدين الذى جاءت به رسالات
السماء والذى كان الاسلام خاتمها واصفى معين لترابطها
وتشكلها على النحو الذى ياخذ الانسان ككل ، عقيدته
بالتوحيد وشريعته بالعبادة والمعاملة ، وتجىء الاخلاق فتصبغ
كل جوانب الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة والقانون

٤٣ - وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى

يحاول المستشرقون فى مختلف كتاباتهم وصف الفكر الاسلامى بالفكر الدينى ، اى انه فكر غير علمى وذلك جريا على التقسيم الذى عرفه الفكر الغربى بالفصل بين الدين والسياسة وبين الاخلاق والاجتماع وبين العلاقة بين الله والانسان والعلاقة بين الانسان والمجتمع : وربما كان ذلك من الامور الطبيعية فى بيئة الفكر الغربى الذى تشكلت من خلال عناصر التراث اليونانى والتشريع الرومانى واللاهوت المسيحى ومن ثم جاء هذا الانفصال الواضح بين القيم والعناصر انفصالا اخذ طابعا صريحا فى حياة هذه المجتمعات وفكرها منذ وقت طويل ، غير ان هذا المنهج يعد قاصرا وغير صادق عندما يلتبس به فهم الفكر الاسلامى الذى نشأ منذ اللحظة الاولى متكاملا جامعا لا سبيل الى الفصل فيه بين القيم والعناصر ، بل انه يقوم اساسا على هذا التركيب الجامع الذى يجعل الاقتصاد والقانون والاجتماع والتربية مفرغة من حقائقها واصولها اذا لم تتكامل مع عقيدة التوحيد كأساس والاخلاق كمنطلق ، وتقوم اساسا على رابطة الوحي بالعقل ، والدنيا بالآخرة ، وعالم الغيب بعالم الشهادة ، والروح بالمادة ويحول ذلك المفهوم دون القول بأن الفكر الاسلامى فكر دينى لأن الفكر الدينى فى مفهوم الغرب هو الفكر القاصر على اللاهوت اى العلاقة بين الله والانسان ، اما الفكر الاسلامى فهو جماع بين علاقيتين قوامها الانسان مع الله ومع الجماعة . ومن هنا تخطىء ايضا عبارات القول بأن اللغة العربية لغة دينية

أو أن الإسلام دين (بمعنى العبادة أو اللاهوت) ، ذلك أن هذا المفهوم الجامع المتكامل يحول دون صدق القول بأن اللغة العربية لغة دينية أو لغة قومية بل هي لغة أمة ولغة فكر ولغة عبادة ولغة حضارة كبرى ، وأن الفكر الإسلامى هو فكر علمى منهجى لأنه قام على أساس مفهوم المعرفة ذات الجناحين : جناح العقل وجناح القلب معا دون تضارب أو ثنائية بل تكامل وامتزاج .

(أنور الجندى)



وكيل دار الاعتصام بالكويت
 دار القرآن الكريم للطباعة والنشر
 أخصائيون في نشر التراث الإسلامي
 والعناية بالقرآن الكريم وعلومه وأحكامه
 ص.ب. ١١١٤٣ ت. ٤١٢٥٤١

دار العلوم للطباعة

القاهرة ٨٠ شارع صين مجاري (الفصل العيني)
 ت ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٢٦٥٤
 الترقيم الدولي ٩ - ٩٥ - ٧٠٥٣ - ١٩٧٧